مجلة جامعة بني وليد للعلوم الإنسانية والتطبيقية
Bani Waleed University Journal of Humanities and Applied Sciences
تصدر عن– جامعة بني وليد – ليبيا
Website:https://jhas-bwu.com/index.php/bwjhas/index
ISSN3005-3900 الصفحات (204- 218) المجلد العاشر ــ العدد الرابع ــ 2025

Jurists in the Tripoli region and their role in the flourishing of academic life (5–8 AH / 11–14 AD))

Mohammed Mohammed Al-Masoudi [1]* Ali Mohammed Samiu [2]
[1.2] Department of History, Faculty of Arts, University of Misurata, Misurata, Libya
m.almasoudi@art.misuratau.edu.ly

الفقهاء في إقليم طرابلس الغرب ودورهم في ازدهار الحياة العلمية ((5– 8 هـ / 11 – 14 م))

محمد محمد المسعودي * علي محمد سميو
[1.2] قسم التاريخ ،كلية الآداب ، جامعة مصراتة، مصراتة ، ليبيا

تاريخ الاستلام: 25-08-2025 تاريخ القبول: 24-09-2025 تاريخ النشر: 04-10-2025

الملخص:
تعد دراسة تاريخ رجالات الفكر والثقافة في أي بلد هي أساس بنية التعليم والتعلم ، والبحث الذي نحن بصدده يحمل عنوان: (الفقهاء في إقليم طرابلس الغرب ودورهم في ازدهار الحياة العلمية)، لا شك أن علماء هذا الإقليم قد ساهموا في ازدهار الحياة العلمية والفكرية، ومدوا أواصر الترابط بين مختلف الأقطار شرقًا وغربًا، وشدوا الرحال لطلب العلم ومجالسة الشيوخ، بالإضافة إلى لقائهم مع العلماء الذين كانت لهم رحلة إلى المشرق الإسلامي أثناء مرورهم بها.
يهدف البحث إلى الوقوف على مؤلفات الفقهاء والعلماء؛ لأنها حافظت على ذلك الإرث الثقافي، فضلا عن إبراز دورهم المجتمعي ومساهمتهم في الارتقاء بالنهضة العلمية، وكانت أخبارهم قد سجلت في كتب الجغرافيين والرحالة والمؤرخين، وأثنوا عليهم ووصفوهم بأنبل الأوصاف، وذكر سيرهم وأخبارهم، كل ذلك انعكس الجوانب العلمية والحضارية في البلاد الطرابلسية.

الكلمات الدالة: الفقهاء ، المدارس، طرابلس ، التأليف، الحياة العلمية.

Abstract
Studying the history of intellectuals and cultural figures in any country is the foundation of the structure of education and learning. The research we are presenting is titled "Jurists in the Tripolitania Region and Their Role in the Flourishing of Academic Life." There is no doubt that scholars from this region contributed to the flourishing of academic and intellectual life, strengthening ties between various countries, both East and West. They traveled to seek knowledge and socialize with scholars, often meeting with scholars who traveled to the Islamic East during their passage through the region. The research aims to examine the writings of jurists and scholars, as they preserved this cultural legacy, while also highlighting their societal role and contribution to the advancement of the scientific renaissance. Their stories were recorded in the books of geographers, travelers, and historians, who praised them

and described them with the noblest descriptions, and their biographies and stories were narrated. All of this reflected the scientific and cultural aspects of Tripolitania.

Keywords: Jurists, schools, Tripoli, writing, scientific life.

المقدمة

تعد دراسة تاريخ أعلام طرابلس الغرب زمن الدراسة محاطة بالغموض، وندرة وتناثر المعلومات فيما يخص الحياة العلمية والثقافية، وخاصة أن جُلّ من أشار إلى هؤلاء الأعلام هي المصادر الجغرافية وكتب الرحلات، وما دون فيها من لقاءات و مشاهدات مع رجالات العلم والثقافة في المدن والقرى التي زاروها، فكانت المعلومات شاهد عيان أو أنهم سمعوها من أهل تلك المدن وسجلوها في كتبهم عن نمط الحياة العلمية في البيئات والمدن التي يعيشونها، وبالمجمل فإن ما كتب عن هذا الإقليم يُعد قليلا مقارنة ببعض المدن والأمصار الإسلامية شرقًا وغربًا[1].

وعليه فإن الباحثين طرقا هذا الموضوع لما له من أهمية على الصعيد الفكري والعلمي والثقافي، وبالبحث والتنقير والمفاتشة في بطون الكتب لملمة وجمع الإرث الحضاري وإظهاره بالصورة التي عليها الآن، ومن أجل معرفة علماء وفقهاء البلاد والاستفادة من كتبهم وتوظيف ذلك في الحياة العلمية والثقافية.

فالمؤلفات سالفة الذكر نجد فيها من هو مفرط في الإيجاز مثل ابن رشيد السبتي الذي جحد عن علماء طرابلس والاستفادة منهم غير من عالم واحد وهو الشيخ والقاضي أبي عبد الله عبد السيد[2]، وبالرغم من أنه قدم الجانب الإيجابي عن وجود عالم في طرابلس والتقائه به، إلا أنه في نفس الوقت أنكر وجود علماء وفقهاء آخرين أو أنهم أقل منهم معرفة.

أما عن المؤرخ العبدري فكان متحاملا في وصفه لمدينة طرابلس بالجهل وعدم اهتمام أهلها بالعلم والعلماء وأنها فقيرة في الجانبين الفكري والعلمي[3].

في حين أن التجاني الذي أرخ لأعلام طرابلس ودون أخبارهم ونبذا من سيرهم ممن التقى بهم أو سمع عنهم، لكنه لم يقدم حكماً واضحا عن الوضع الثقافي بها على نحو ما فعل العبدري في رحلته، إلا أن ما ذكره عن وجود المدارس العلمية والشيوخ والفقهاء في طرابلس خير شاهد على ما تتمتع به المدينة من الازدهار العلمي والفكري[4].

وعلى الرغم من اختلاف الآراء فقد أظهرت كتب المؤرخين وجود ازدهار فكري متمثلا في المراكز العلمية وغيرها، والتي بدورها ساهمت في إنشاء قامات علمية من شيوخ وفقهاء كان المعول عليهم في النهوض العلمي والتواصل الفكري مع البلدان والأمصار الإسلامية[5].

أهمية الدراسة :

1 – تبيان الجذور التاريخية للعلوم الدينية باعتبارها أساسا بنيت عليه النهضة العلمية في طرابلس الغرب.

2 – التعرف على تراجم أعلام طرابلس من شيوخ وعلماء وفقهاء من خلال مصنفاتهم في علوم الشريعة والدين، باعتبارهما اللبنة الأولى في تمثل الإرث الذي ساهم بشكل كبير في ازدهار الحياة العلمية في البلاد الطرابلسية.

---

(1) نجاح القابسي، لمحات حول الحياة الثقافية في طرابلس، مجلة البحوث التاريخية، منشورات مركز الجهاد الليبي، (طرابلس، يوليو 1980 م)، العدد الثاني، ص 201 .

(2) ابن رشيد السبتي، أبو عبد الله بن عمر الفهري(ت721هـ/1321م) رحلة ابن رشيد السبتي المسماة "ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى مكة وطيبة" مخطوط الاسكوريال، تحت رقم "1736"، ص3 .

(3) العبدري، أبو عبد الله محمد بن محمد الحاحي (ت: خلال 700-720هـ/ 1300- 1320م)، رحلة العبدري، تحقيق: أحمد بن جدّو، منشورات كلية الآداب (الجزائر) سلسلة رقم (1)، ص 76 .

(4) خليفة التليسي، حكاية مدينة، ص 32.

(5) سيأتي الحديث عن هذه المؤسسات العلمية والعلماء بتفصيل أكثر.

3 – التأكيد على أن الفترة الإسلامية – فترة الدراسة - هي الأساس الذي ساهم في التطور وازدهار علوم الدين في ليبيا بمختلف فروعه.

إشكالية البحث:

تكمن في أن معظم المصادر لم تشر إلى أن إقليم طرابلس كان مزدهرا علميا وثقافيا، في حين أن هناك إشارات متعددة عن المؤسسات العلمية والمراكز الثقافية والتي بدورها ساهمت وبشكل كبير في بروز العديد من العلماء والفقهاء، والذين طوروا الحياة العلمية والفكرية في الإقليم مما ساعد على الارتقاء بالحركة من خلال تلك المراكز والمؤسسات.

ومن خلال هذه الإشكالية تبرز لنا عدة تساؤلات:

ما هو دور العلماء والفقهاء في تطور مختلف العلوم؟

كيف يمكن الحفاظ على موروث العلماء من مؤلفات في مختلف فروع العلم؟

ما هي أوجه الصلة الوطيدة بين النتاج الفكري في الشرق وبين ما يؤلفه المغاربة ويبدعون فيه بصفة عامة والطرابلسيين على وجه الخصوص؟

ما هي أسباب عزوف المصادر التاريخية عن تدوين التاريخ الثقافي والعلمي لإقليم طرابلس؟

إلى أي مدى ساهم العلماء والفقهاء في ازدهار الحياة العلمية؟

أهداف الدراسة:

1 – محاولة إبراز أهم العلوم التي ظهرت في الإقليم وإظهار دور العلماء والفقهاء في تطور مختلف العلوم.

2 – الحفاظ على ما تبقى من انتاج الفقهاء والعلماء من مؤلفات ومخطوطات ووثائق.

3- الاهتمام بدراسة الجوانب العلمية والثقافية على اعتبار أنها المحرك الأساسي للتاريخ السياسي والاجتماعي والاقتصادي.

منهجية البحث:

المنهج المتبع هو المنهج التاريخي السردي الذي يعتمد على جمع المادة العلمية من المصادر والمراجع ذات العلاقة بموضوع الدراسة ومقارنتها ببعضها في محاولة للوصول الي النتائج المرجوة.

أولاً : العوامل المساعدة على النهوض بالنواحي العلمية والثقافية :-

مرت طرابلس وبرقة بظروف سياسية صعبة، كانت قد أثرت بعض الشيء على التقدم الفكري والحضاري، وانقطاع التواصل في أزمنة ما عن مراكز العلم والعلماء في المدن والأمصار الإسلامية الكبرى[6]، وهذا لا يعني بأي حال خلوها من العلم وأهله، مثلما ادعى بعض الجاهلين به في محاولة منهم لإخفاء الصورة الحقيقة المزدهرة التي تميزت بهما برقة وطرابلس – خلال فترة الدراسة- وكل ذلك كان منافيا لما صرح به العبدري بأنها : "..دارٌ للجهل أقفرت ظاهراً وباطناً..." [7]. بل كانت بذرة للنشاط والتواصل الفكري له تميزه في فترة الاضطرابات والخلافات السياسية[8].

أما الرحالة التجاني فقد أعطى صورة إيجابية عن النبوغ العلمي والثقافي، ويكون مرد ذلك إلى طول فترة بقائه بطرابلس، فاستطاع أن يكوّن رؤية شاملة للحركة العلمية في المدينة على عكس ما جهل به غيره ممن زاروها مثل بن رشيد والعبدري، وكان وصفه المقنع راجع إلى ثقافته الواسعة التي مكنته من الالمام وتتبع

(6) العواصم الاسلامية الكبرى : بغداد – البصرة – دمشق – القاهرة – القيروان – تونس –فاس وغيرها الكثير من عواصم الثقافة الاسلامية .
(7) العبدري، الرحلة، ص 76.
(8) نجاح القابسي، لمحات حول الحياة الثقافية في طرابلس ، ص 219 .

سير الأعلام بها، فأظهر ما كان مخفيًا لدى الكثيرين الذي تحدثوا عنها بشكل سلبي ووصفوها بالجهل والتخلف.

وزد على ذلك أنه اعتراف لأحد رحالة القرن السابع الهجري/الرابع عشر الميلادي، وهذا ليس بالأمر البسيط من رحالة مثل التجاني، الذي أعطى ميزة خاصة بكتاباته عن تاريخ طرابلس وبرقة، ولما احتواه من مادة غزيرة سواء تاريخية أم جغرافية.

إذن فالمعلومات التي أوردها العبدري عن طرابلس وبرقة هي حالة لا يقاس عليها ولا يعتد بها، وأنا هنا لا أبرر أو أبحث عن أعذار عكس ما ذكره، إنما بردود ما دبجه المؤرخون الرحالة والجغرافيين

ومن هذا المنطلق، فإن المنطقة شهدت نهضة فكرية واسعة، بتأسيس منشآت ومراكز تعليمية وثقافية والتي بدورها ساهمت في نبوغ عدد كبير من العلماء والفقهاء في شتى صنوف العلم مثل الفقه والأدب واللغة والتاريخ، وكل ذلك كان من الأسباب المؤثرة في النشاط العلمي.

1. الموقع الجغرافي:

امتازت برقة وطرابلس بموقع استراتيجي في الشمال الأفريقي ساهم منذ البواكير الأولى في أن تكون حلقة وصل بين المشرق والمغرب، بالإضافة إلى الامتداد الجنوبي، حيث توجد الواحات التي بدورها ربطت الساحل الشمالي بالصحراء[9]، وهذه الميزة جعلت المنطقة على ترابط وتواصل معظم أجزاء العالم الإسلامي شرقا وغربا، فطلاب العلم و علماء المغرب الإسلامي كانوا يمرون بطرابلس ومن ثم برقة ويبقون فيها عند رحلاتهم العلمية أو لأداء لفريضة الحج[10]، فيحدث اللقاء مع أهل المناطق التي ينزلون بها، وكل ذلك مردوده على طلبة العلم للأخذ من علومهم وفهومهم ، ورفع رصيدهم الفكري والثقافي وهم في بلدهم[11]، وقد أشار ابن الأجدابي عن تلك الرحلات والأخذ عن الشيوخ والتزود منهم عندما سألوه عن الطريقة التي تحصل بها عن كل ذلك العلم، فأجاب بأنه اكتسب العلم من هوارة وزناتة[12]، وهذا يفسر لنا أنه التقى بالعلماء الرحالة الذين نزلوا برقة وطرابلس، سواء من المشرق أو من المغرب الإسلاميين، فأخذ عنهم العديد من العلوم وحدث بينهم التلاقح الفكري والثقافي، وعن ضوء ذلك بدأ التواصل والارتحال من أجل طلب العلم بملاقاة الشيوخ والسماع منهم، والأخذ عنهم، وإجازاتهم له.

2. وفود الرحلات العلمية المغاربية والعلماء إلى طرابلس:

تعد مدينة طرابلس ملتقى لكثير من المسافرين والرحالة، فعند الوصول إليها يبيتون فيها فترة للاستراحة ويقتنون ما ينقصهم من زاد ومستلزمات لوسائل تنقلهم، كما تجمعهم الفرص أثناء أداء الصلاة في المسجد للالتقاء بالشيوخ وأهل العلم، فيبدأ التقارب وهذا ما يعرف بالتقارب الفكري والمعرفي التي أنتجته الرحلة في طلبة العلم.

وبالإضافة إلى ما سبق، فإن ظاهرة الرحلة وما لقيه العلماء والتلاميذ الداخلين من حسن الاستقبال والترحيب بهم وتقديم المساعدة لهم، لمكانتهم العلمية ورفعة شأنهم في بلدانهم، وقد بين التجاني دليلا عن ما قام به أهالي طرابلس من ترحيب بالعلماء والحجيج حيث قال: "... وخرج أهلها مظهرين للاستبشار رافعين أصواتهم بالدعاء، وتخلى والى البلد إذ ذاك عن موضع سكناه -وهو قصبة البلد-، فنزلنا بها..." [13]، و ابن رشيد عند دخوله إليها يصفهم: "... فوافينا مدينة طرابلس، فرأينا بلداً حسناً وناساً فضلاء، ..." [14] كما تحدث عن لقائه بشيخها الفاضل ابن عبد السيد عن حسن الاستقبال والترحاب، ويفصل بما وقع بينهم من حديث والفرحة بهم إذ يقول : "... ولقينا بطرابلس شيخها ورئيسها وفاضلها وقاضيها الفقيه أبا محمد عبد الوهاب بن أبي الحسن ابن

(9) أحمد الياس حسين، تاريخ ليبيا الإسلامي، ص 57 .
(10) مراجع الغناي، العلاقات بين بني زيري والفاطميين، ص57 ؛ احمد مسعود، المرجع السابق، ص84 .
(11) على عمر الهازل، الوضع الثقافي في ليبيا، ص 297 .
(12) التجاني، الرحلة، ص263 .
(13) التجاني، الرحلة، ص237 .
(14) ابن رشيد السبتي ، الرحلة، ص3 .

عبد السيد، فأضافنا واحتفل، فقال: تخيروا إما أن تقيموا فقد أعددت لكم منزل ابني، أو تسافروا في هذا المركب، فقلنا له: وكيف ذلك والمركب مسافر في هذه الليلة؟ فقال :في حكمي إمساكه إلى الغدوة، فشكرناه على ذلك، وأخرنا السفر؛ فأمر في الحال من توجه إلى البحر وأمر بإمساك المركب، وتشاغلنا تلك الليلة بإصلاح الزاد، واستخرنا الله تعالى في السفر فيه فتيسر ذلك والحمد لله..."[15].

ويستنتج مما ذكر آنفا من روايات الرحالة الذين زاروا طرابلس بأن أهلها قد استقبلوا طلبة العلم والعلماء وأكرموا رفادتهم، و هذا دليل على احترامهم لأهل العلم، وخاصة ممن ذاع صيته عن طريق كتبه خارج مكان إقامته، فعند دخول الوافدين يسألون عن علماء وشيوخ طرابلس، كما يسأل هؤلاء عن العلماء الوافدين إليها، و عن ضوء ذلك يبدأ الحديث والنقاش في العديد من المسائل الدينية والفكرية، كما يبدأ التواصل بالأخذ والسماع من العلماء والفقهاء الكبار لمن هو أقل منه[16].

وعليه، فهذا التواصل والتقارب العلمي من خلال لقاء العلماء والشيوخ وطلبة العلم يعطي انطباعا بأن طرابلس عامرة بالعلم والعلماء، ويدل أيضا عن ازدهار الحياة الفكرية والثقافية بها، وهذا يبطل كلام العبدري في وصفه وذمه لأهل طرابلس وجهلهم بالعلم.

3. الرحلات العلمية:

كانت الرحلة في طلب العلم من أهم مظاهر الحضارة الإسلامية، فقد سعى طلاب العلم للحصول على العلم والمعرفة من خلال الرحلات التي يقومون بها بين مختلف الأمصار الإسلامية ، كما أنها تعد رافدا مهما من روافد المعرفة في جميع العلوم، وعدت أيضا عاملا من العوامل التي ساعدت على تعميق التلاقح والتفاعل العلمي والفكري بين الحواضر والمدن الإسلامية شرقا وغربا، فكان لها دور في انفتاح المسلمين بعضهم على بعض، وكان غاية العلماء من الرحلة سماعهم للأحاديث من أفواه الرجال الذين عرفوا بالثقة، وتعليمهم الفقه والأصول وغيرها من العلوم، وقد زخرت كتب الأدب بالعديد من الأشعار نظمها أصحابها في ذكر محاسن السفر، وفي هذا الشأن نستشهد بما قاله العلامة عبدالملك بن سعيد الأندلسي تشجيعه عندما عزم السفر إلى بلاد المشرق قوله:

وكل ما كابدته في النوى إياك أن تكسر من همتك

أودعك الرحمن في غربتك مرتقبا رحماه في أوبتك[17]

فضلا عن ذلك، فقد اهتم طلاب العلم في برقة وطرابلس بشد الرحال لطلب العلم من الحواضر والعواصم الإسلامية شرقا وغربا، فارتحلوا إلى الجامع الأزهر في مصر للأخذ عن شيوخها وحظوا بتقدير خاص منهم، وكما شدوا الرحال إلى جامع الزيتونة بتونس فكان مقصدا لهم لسهولة وصولهم وقربهم منها، كما هاجر الكثير من طلبة العلم البرقيين والطرابلسيين من أجل التحصيل العلمي إلى بلدان المشرق الإسلامي وتتلمذهم على كبار علمائها وشيوخها في مختلف مجالات العلوم من فقه وحديث ولغة وغيرها من صنوف العلم الأخرى، بعد ذلك يشد السفر بالعودة إلى وطنهم حاملين معهم ما أخذوه من العلم وكتب ومؤلفات كبار العلماء، ونشره في بلدهم كل ذلك كان له عظيم الأثر في إثراء حركة الازدهار العلمي والمعرفي بين الأقطار والمدن الإسلامية، فأصبحت الرحلة في سبيل العلم والعلم من الأمور المتعارف عليها بين طلاب العلم في برقة وطرابلس و بلاد المغاربة قاطبة[18]، وقد سجلت كتب الجغرافيا البلدانية والرحلات عدد من أسماء علماء وفقهاء برقة وطرابلس الذين سافروا في طلب العلم إلى مصر وسوف نتعرض بالحديث عنهم لاحقا.

4. القبائل العربية المهاجرة المستقرة في برقة وطرابلس : بعد هجرة قبائل بني هلال وبني سُليم العربية - التي هاجرت من مصر خلال النصف الأول من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي- واستيطانهم

(15) المصدر نفسه : نفس الصحفة

(16) جمعه محمود الزريقي، تراجم ليبية – دارسة في حياة وأثار بعض الفقهاء والاعلام من ليبيا قديماً وحديثاً، ص456 .

([17]) حسين محمد فهيم، أدب الرحلات، مطابع الرسالة، الكويت، 1989م، ص103.

(18) عمر محمد التومي الشيباني، تاريخ الثقافة والتعليم في ليبيا، ص157 .

في برقة وطرابلس اندمجوا مع سكانها الأصليين من البربر، مما أدى ترجيح العدد السكاني داخل تلك الأقاليم لصالح العرب، فانتشرت اللغة والثقافة العربية، وانصهرت أغلب القبائل البربرية مع القبائل العربية وأصبحت تتحدث العربية بطلاقة[19].

5. الاتصال مع البلدان المجاورة:

بدأ التواصل مع العديد من البلدان زمن الحكم الموحدي والحفصي على المغرب والمشرق الإسلامي و بعض بلدان المتوسط مثل إيطاليا وإسبانيا والبرتغال وغيرها ، بعد أن أصبحت الأسفار ميسرة بين شعوب تلك البلدان إلى حد كبير، فضلا عن المعاملات والاتفاقيات التجارية المتبادلة بين بعضهم البعض، ومن هؤلاء المسافرين إلى برقة وطرابلس سواء كموظفين أو جنود في الجيش والمشاركين في الحملات العسكرية التي غزت طرابلس، إضافة إلى المهاجرين إلى طرابلس من مدن المغاربة ومن جنوب إيطاليا وجزيرة صقلية والأندلس، وخاصة الأخيرة جاءت إلى بلدان الشمال الإفريقي التي من ضمنها برقة وطرابلس، وكان لتلك الهجرات وقع ملموس في الحركة العلمية والثقافية في المنطقة المغاربية على وجه العموم؛ وذلك لما يتمتع به الأندلسيون من مستوى علمي وحضاري[20]، فانعكس ذلك على المناطق التي سكنوها واندمجوا مع سكانها .

6. حلقات الدرس والمجالس العلمية:

كانت حلقات الدرس التي يحضرها طلاب العلم للسماع من شيوخهم هي إحدى وسائل أخذ العلم، وبعد أن يعرف الشيخ أو الفقيه أن المتلقي أخذ قدرا من العلم يمنحه إجازة، وهي إحدى أنواع التحمل والأداء عند المحدثين[21]، وهذا يعني أن يمنح الشيخ الإجازة لتلميذه الذي درس عنه العلوم واستوعبها، بما أن الطالب إذا آنس القوة في العلم والقدرة على التدريس والافتاء والرواية طلب من شيخه أن يجيزه[22].

كما تعد أيضا بمثابة الشهادة الموثوقة جرى العرف أن يمنحها الشيخ أو الفقيه أو المحدث أو عالم في إحدى العلوم إلى طلاب العلم، وكان يسمح للطالب بموجبها رواية الحديث والفتوى ومزاولة التدريس فيما أجيز[23] .

وعليه فإن هذه المجالس لها كبير الأثر على النواحي الثقافية والفكرية في إقليمي برقة وطرابلس، فأغلب هذه الحلقات كانت تعقد في المساجد أو الزوايا أو المدارس، كما عقدت في بيوت الشيوخ والعلماء، وغالبا ما تدور حول القضايا الفقهية والمسائل الدينية المعقدة، وقد تعددت مجالس العلماء في أنحاء البلاد، ومن أبرزها وبالرجوع إلى حديثنا عن الرحالة على سبيل المثال الحوار الذي أجراه العبدري في طرابلس سنة (689هـ/1290 م) مع الشيخ ابن محمد عبد الله بن عبد السيد وعدد من العلماء وطلاب العلم، ثم ناقش عدة قضايا فكرية معهم، فكانت محاضرة مهمة صُححت فيها عدة مسائل فقهية كانت محل جد آنذاك[24].

استمر انعقاد الجلسات العلمية في طرابلس خاصة فترة تواجد الرحالة التجاني بها زمن حكم أمير الحفصيين ابن اللحياني، فحضر المجالس ثلة من العلماء من أمثال الشيخ أبو فارس عبد العزيز[25] وكبار الفقهاء والتلاميذ، فضلا عن حضور العلامة التجاني الذي سيّر الحوار والنقاش لتلك الجلسات لعدة من الأيام، وشرح كتابي الإكمال للقاضي عياض، والمسند الصحيح وغيره من صنوف العلوم الأخرى[26].

([19]) عبدالرحمن بن خلدون، تاريخ ابن خلدون، دار الفكر، بيروت، 1981م، 18/6 ؛ محمد الطيب، موسوعة القبائل العربية، دار الفكر العربي، (د.م)، 2010م، 241/3-243.

(20) الشيباني، تاريخ الثقافة، ص 198 –199 .

([21]) محمد ضياء الرحمن الأعظمي، معجم مصطلحات الحديث ولطائف الأسانيد ، مكتبة أضواء السلف، الرياض، 1995م، ص8.

([22]) أحمد رمضان، الإجازات والتوقيعات المخطوطة في العلوم النقلية والعقلية من القرن (4-10هـ/10-16م)، منشورات هيئة الآثار، مصر، ص14.

([23]) مصطفى عبدالكريم الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996م، ص18.

(24) العبدري، الرحلة، ص77 –82 .

([25]) سيأتي ذكره في الحديث عن أبرز علماء المنطقة.

(26) التجاني، الرحلة، ص255 –256 .

ومهما يكن من أمر، فإن مثل هذه المجالس العلمية، تنير الطريق أمام طلاب العلم سواء المقيمين أم الوافدين، فأصبحت زادهم وعتادهم الذي يتزودون به من المعارف والعلوم، كما ساهمت بشكل كبير في تبادل الأفكار والتواصل المباشر بين العلماء والتلاميذ، والغاية من ذلك سماعهم للأحاديث من أفواه رجال الفقه والعلم، وبالتالي انتعاش الحضارة في كافة المنطقة.

ثانيا : نماذج من اسماء أهم العلماء واسهاماتهم في الحركة العلمية والفكرية:

في البدايات الأولى كان جل اهتمام العلماء يرتكز حول الإطار الديني من دراسة للحديث والأصول واللغة؛ أكثر من باقي العلوم فلا تجدها إلا النذر البسيط، وفي هذا الشأن سوف ندرج ترجمة لعدد من الفقهاء والشيوخ والعلماء الذين كان لهم دور في ازدهار النواحي العلمية والفكرية، على سبيل التمثيل لا الحصر :

1 - علي بن أحمد بن زكريا بن الخطيب الهاشمي[27]:

يعرف بابن زكرون الطرابلسي[28]، سكن في مسجد المجاز – ما يقارب أربعين سنة-، أخذ العلم عن أبي مسلم صالح بن أحمد العجلي، وروى عنه الوليد بن بكر الأندلسي وآخرون[29]، وكان عالماً زاهداً في الفقه والفرائض والشروط وله مؤلفات عديدة مفيدة، وقد كان من الورعين في طعامه وشرابه وملبسه، وهذا حسب وصف تلميذه ابن المنمر له[30]، ويذكر التجاني أنه:" بقي أربعين سنة لم يضحك ونحواً من خمسين سنة لم يحلف بالله يميناً... [31]"، ومن مؤلفاته: المعالم الفقهية والمعالم الدينية، وربما يكون هذان العنوانان لكتاب واحد، وقد درست بعد وفاته بفترة طويلة وهذا يدل على أهميتها وقيمتها العلمية، لم يتسنى معرفة تاريخ وفاته.

2 - أبي الحسن علي بن محمد بن المنمر الطرابلسي الفرضي (ت 432هـ/1040م):

ولد بطرابلس سنة (348هـ/959م)، ونشأ بها ودرس في الكتاتيب وتتلمذ على العديد من الشيوخ والعلماء بها، ومن هؤلاء الفقيه ابن زكرون[32]، وأصبح من علمائها وذاع صيته، اشتهر بفضله وعلمه ورئاسته، وشد الرحال لطلب العلم، فارتحل إلى القيروان، وأخذ العلم عن الفقيه أبي محمد بن عبدالله بن يزيد وأبي الحسن القابسي، ثم عاد إلى طرابلس، ومن ثم كانت له رحلة إلى مصر أخذ العلم من الفقيه أبي القاسم الجوهري ومحمد بن أحمد الوشاء[33]، وارتحل إلى مكة سنة (389هـ/1000م)، فلقي بها أحمد بن زريق البغدادي[34]، تأليف في الحساب والأزمنة وغير ذلك، سوى كتابه المشهور المسمى " الكافي في الفرائض"، وقد لقي الشيخ أبا محمد بن أبي زيد[35]، وقرأ عليه، وروى عن أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الجوهري[36]، وهو من أظهر السنة بطرابلس، وأول من قطع الآذان، وحي على خير العمل، وأول من جمع بالناس لصلاة القيام، وأول من أطلق للناس صلاة الضحى جهاراً، ولم يكن أحد في زمن العبيديين يصليها إلا مستخفياً، فإن عرفوه

---

(27) سمي في بعض المصادر بالخصيب بالصاد وهو ما جعل صاحب كتاب نفحات النسرين يجعل منه شخصين= الانصاري، أحمد بك النائب، نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان، منشورات المكتب التجاري (بيروت، 1963م) ص78، 110، الانصاري، المنهل العذب، 53/2، 69 .

(28) حمزة أبو فارس، أضواء على جوانب من حياة ليبيا العلمية، منشوراتELGA(مالطا، 2001م) ص123 .

([29]) الحموي، معجم البلدان، 217/1.

(30) ابن عياض اليحصبيي، القاضي ابو الفضل عياض بن موسي (متوفي: 544 هـ/ 1149م) ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق : أحمد بكير محمود، دار مكتبة الحياة و دار مكتبة الفكر (بيروت، طرابلس) 3/ 537 – 538 .

(31) التجاني، الرحلة، ص251 .

([32]) القاضي عياض، ترتيب المدارك، 228/2.

([33]) أحمد النائب الأنصاري: المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، منشورات مكتبة الفرجاني، طرابلس، (د.ت)، ص101.

(34) أحمد بن زريق البغدادي : شاعر أديب، قيل قديماً من أقرأ لأبى عمرو، وحفظ قصيدة ابن زريق فقد استكمل الظرف = احمد مختار عمر، النشاط الثقافي، ص143، على مصطفى المصراتي، المرجع السابق، ص30 .

(35) درس عليه ابن المنمر فقه مالك، حيث كان أبي زيد من كبار الفقهاء والمشايخ في هذه الفترة على مصطفى المصراتي، أعلام من طرابلس، دار مكتبة الفكر (طرابلس، 1972م) ص30 .

(36) هو أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي الجوهري الامام الفقيه العالم المحدث الثقة الفاضل، سمع من ابن شعبان والحسن بن رشيق وأبي علي المطرزي وغيرهم، وعنه ابنه وابو بكر بن عبد الرحمن القيرواني وأبو الحسن بن سرور وابو بكر بن عقال وابن الحذاء وغيرهم، ألف كتاب مسند الموطأ وكتاب مسند ما ليس في الموطأ، توفي في رمضان 385 هـ/995م ، محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، ص93 .

قتلوه[37]، ثم عاد إلى طرابلس فلم يزل بها إلى سنة ثلاثين وأربعمائة، فخرج منها لمحنة جرت عليه، فتوجه إلى موضع يعرف بغانيمه -قرية من قرى مسلاتة، فسكن بها إلى أن توفي هناك سنة (432هـ/1040م)، وقبره على الطريق بها[38].

3 - الإمام أبو إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد بن عبد الله اللواتي الطرابلسي المغربي المعروف بابن الأجدابي:

ولد في طرابلس ، وعلى ما أشار إليه التجاني بأنه كان موجودا بها أي في الفترة ما بين (444-476هـ/1052-1083م)، ولهذا السبب ألصق به نسب الطرابلسي، ونسبه يرجع من اجدابيا في إقليم برقة[39]، سكن بجانب الجامع الأعظم بمدينة طرابلس، وتتلمذ على مشائخها، والتقى بعدد من الفقهاء والعلماء القادمين إلى طرابلس، وكان يقوم باستقبالهم وضيافتهم[40].

وأثنى عليه التجاني ووصفه بقوله :"وكان من أعلم زمانه بجميع العلوم كلاماً وفقهاً ونحواً ولغةً وعروضاً ونظماً ونثراً، وله تآليف جليلة وأسئلة مفيدة في الفقه وغيره، من جملة تآليفه كتابه المتداول المسمى بكفاية المتحفظ، وكتابه في العروض ناهيك به حسناً وترتيباً وتهذيباً، وهو نسختان كبرى وصغرى، وكتابه في الرد علي أبي حفص بن مكي في تثقيف اللسان، وكتابه في شرح ما آخره ياء مشددة من الأسماء وبيان اعتلال هذه الياء، وكتاب المختصر في علم الأنساب، وله تأليف مختصر في الأنواء على مذهب العرب"[41]، وكانت له رسائل معروفة إحداها رسالة الحول التي تدل على اهتمامه وحبه للأدب وكثرة الحفظ، إلى جانب حسن خطه وعنايته بالنسخ، وهذا الرجل قد أعطى قدرا وفخراً لبلده، ولم تكن له رحلة في طلب العلم خارج طرابلس، ولما سئل من أين اكتسب هذا العلم الغزير- رغم عدم سفره- فرد بأن اكتسبه من بابي هوارة وزناتة -وهما بابان من أبواب البلد، وقد أشار إلى أن استفادته من الشيوخ والفقهاء والعلماء الوافدين على طرابلس، سواء المشارقة أم المغاربة.

ونوه ياقوت الحموي أنه كان من أهل الأدب، وحسنا فاضلا، له تصانيف عديدة حسنة، منها كتاب المحتفظ، وهو مشهور ومختصر في اللغة[42]، أما القفطي فقد وصفه بأنه من أهل اللغة، وهو من أشهر علماء بلده، له باع في التجديد والتحقيق والإفادة ، وصنف كتابا لطيفا في اللغة أسماه " كفاية المتحفظ " واشتهر بين أهل اللغة في المشرق والمغرب [43]، والبغدادي عند حديثه عن مدينة أجدابية عرفه باسم كتابه " كفاية المتحفظ "[44].

اختلف الجغرافيون والرحالة والمؤرخون في تاريخ ولادته ووفاته ،بالرغم من الشهرة التي نالها، فجعله الأنصاري في صدر المائة السابعة للهجرة[45]، وجعله كل من حاجي خليفة وإسماعيل باشا في حدود سنة (600هـ /1203م) وبالتالي اعتبروه من علماء القرن السادس الهجري[46]، أما التجاني فقد صنفه من علماء القرن الخامس الهجري[47]، وهذا الرأي هو الأقرب إلى الصواب، لأن ابن الأجدابي كان معاصراً لقاضي

(37) التجاني، الرحلة، ص265 –266 .
(38) تعرض ابن المنمر في آخر أيام حياته إلى الأذى وذلك بسبب اشتراكه في خلافات سياسية بين بن خزرون وحكام طرابلس آنذاك، وكان مصيره النفي من البلاد واستباحة أملاكه وتعذيب الكثير من أقاربه = أحمد مختار عمر، المرجع السابق، ص143 .
(39) السيوطي، بغية الوعاة، 1/ 408، كذلك : الزركلي، الأعلام، 1/ 25، الطاهر الزاوي، اعلام ليبيا، ص17 – 19، على فهمي خشيم، الحاجية، ص33، ابن غلبون، التذكار، ص226، مجموعة من الباحثين، دليل المؤلفين العرب الليبيين، منشورات دار الكتب (طرابلس، 1977م) ص2-3 .
(40) ياقوت الحموي، معجم البلدان ، 100/1. 101.
(41) للمزيد من المعلومات حول هذا الكتاب : ينظر : احمد مختار عمر، المرجع السابق، ص273 – 277، وقد طبع في المطبقة الأدبية بيروت سنة 1305 هـ/ 1887م = احسان عباس، تاريخ ليبيا، ص214 .
(42) ياقوت الحموي، معجم البلدان، 1/ 100 .
(43) القفطي، أنباه الرواة على أنباء النحاة، 158/1 .
(44) البغدادي، مراصد الاطلاع ،30/1 .
(45) الأنصاري، نفحات النسرين، ص85 .
(46) اسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين ،10/5 .
(47) التجاني، الرحلة، ص263 .

طرابلس أبي محمد عبد الله بن محمد بن ابراهيم ابن هانش[48] في الفترة من عام (444- 477هـ/ 1052– 1055م)، وله قصة ذكرها التجاني في رحلته[49] حدد تاريخ وفاته حوالي سنة(600هـ/1203م)[50].

4 - عمر بن عبدالعزيز بن عبيد بن يوسف الطرابلسي المالكي (ت510هـ/1116م):

كان فقيها و أديبا، تتلمذ بطرابلس على فقهائها وسمع منهم الحديث والفقه، وارتحل إلى بغداد وتوفي فيها، وهو قائل الأبيات التالية:

هذب المذهب حبر أحسن الله خلاصه

ببسيط ووسيط ووجيز وخلاصه[51]

5 - أبو الحسن على بن إسحاق بن إبراهيم الودانى (ت 515هـ/1121م):

أصله من مدينة ودان، ولد سنة (433 هـ/1041م) ، وارتحل إلى صقلية وسكن بها وترأس ديوانها[52]، اشتهر بالعلم وله في الأدب والشعر، له ديوان أجاد فيه، ووصف بالرياسة والنفاسة، عاش في عصر ابن رشيق[53]، ولما احتل الفرنج صقلية انتقل إلى مصر في حدود سنة (500 هـ/1106م)، وأقام بالقاهرة، له عدة تصانيف منها كتاب " الأقوال"، وكتاب الدرة الخطيرة في المختار من شعر شعراء الجزيرة " وكتاب " لح الملح "[54]، وتذكر المصادر التاريخية أنه ولد في صقلية وكانت وفاته سنة 515هـ/1121م[55].

6 - أبو الحسن علي بن عبد الله ابن مخلوف الطرابلسي (ت522هـ/ 1128م):

نشأ في مدينة طرابلس وتتلمذ على شيوخها، كان له اهتمام بالتاريخ، لذلك صنف كاتبا عن تاريخ طرابلس[56]، درس العديد من العلوم، أخذ عنه السلفي، وارتحل إلى الحج، وتوفي بمكة في ذي الحجة سنة (522هـ/1128م) [57]، غير أن الزاوي ذكر أن وفاته كانت سنة (533هـ/ 1138م)[58] دون ذكر الشهر، ربما يكون الاختلاف في أيام قليلة في نهاية شهر ذي الحجة وبداية محرم.

---

(48) ابن هانش : هو عبد الله بن محمد بن ابراهيم بن هاشم الطرابلسي القاضي ابو محمد المعروف بابن هانش، قال التجاني كانت ولايته للقضاء سنة444هـ وعزل عنها سنة 479 هـ حضر عنده يوماً ابن الاجدابي، فحكم أبو محمد حكماً أخطاء فيه، فردّ عليه الفقية أبو اسحاق فقال له : اسكت يا أحول، فما استدعيت ولا استفيت، فألف أبو اسحاق رسالة في الحول، دلت على أداب كثير وحفظ غزير = الطاهر الزاوي، اعلام ليبيا، ص239– 240 .

(49) التجاني، المصدر السابق، ص263 .

(50) احسان عباس، تاريخ ليبيا، ص213، احمد مختار عمر، النشاط الثقافي، ص257، شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي ،ص67 .

([51]) ياقوت الحموي، معجم البلدان، 25/4. 26 ؛ الزاوي، أعلام ليبيا، ص284، 285.

(52) ياقوت الحموي، المصدر السابق، 73/5 .

(53)هو ابو على الأزدي القيرواني حامل لواء الأدباء التونسيين ولد بمدينة المحمدية حوالي سنة 385 هـ وبها تلقى علم العربية والأدب وارتحل إلى القيروان لتلقى العلم و الإستزادة سنة 406 هـ، فقرأ على أساتذة ذلك العصر كأبي عبد الله محمد بن جعفر القزاز كبير النحويين وعبد الكريم النهشلي وغيرهما، وأدخله المعز الصنهاجي في زمرة جلسائه الأدباء، ثم انتقل الحسن إلى صقلية وسكن مدينة ما زرة إلى أن ادركته منيته سنه 456 هـ ومن مؤلفاته : كتاب العمدة، قراصنة الذهب في نفذ أشعار العرب = ابراهيم =العبيدي التوزري، تاريخ التربية بتونس، 1/ 184 – 185، ابو القاسم كرو، عصر القيروان، ص97، محمد ابن مخلوف، شجرة النور الزكية، ص110.

(54) الطاهر الزاوي، اعلام ليبيا ؛ ص254 .

(55) الطاهر الزاوي، اعلام ليبيا، ص254 – 255، كذلك : دليل المؤلفين العرب الليبين، ص244، البرغوتي، تاريخ ليبيا الاسلامي، ص320، محمد خفاجي، المرجع السابق، ص96 . وذكر على المصراتي أن وفاته كانت سنة 510 هـ/ 1116م = اعلام من طرابلس، ص61 .

(56) كتاب تاريخ طرابلس لابن مخلوف الطرابلسي يعتبر من الكتب التي ضاعت ولم يتم العثور على أي نسخة منه إلى الأن، ولا نعرف عنه شيئاً غير اسمه .

(57) ياقوت الحموي، معجم البلدان، 25/4 .

(58) الطاهر الزاوي، اعلام ليبيا، ص269، كذلك : شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي ،ص77، على مصطفي المصراتي، مؤرخون من ليبيا مؤلفاتهم ومناهجهم – عرض ودراسة، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ،ط2 (مصراته ،2002م) ص13 -14، احمد الياس حسين، تاريخ ليبيا الإسلامي من خلال كتاب التذكار لابن غلبون، مجلة البحوث التاريخية، منشورات مركز الجهاد الليبي، السنة الرابعة (طرابلس، يناير 1982م) العدد الأول، ص58، بطرس البستاني، دائرة المعارف، 11/ 244 – 245، البرغوتي، تاريخ ليبيا الاسلامي، ص489، الأنصاري، نفحات النسرين، ص97 – 98، دليل المؤلفين العرب الليبيين، ص271 .

7 - أبو موسى عمران ابن موسى بن معمر الطرابلسي (660هـ/1262م):

كان عالما فقيها ورعا صالحا فاضلا، ذو أخلاق حميدة ، وسيرة طيبة، وتتلمذ على يده عدد من الشيوخ والفقهاء، مثل الشيخ أبي فارس عبد العزيز الذي ذكر اسم هذا الشيخ عند إجازته[59] لتلميذه التجاني[60]، تولى القضاء بما يزيد عن ثلاثين سنة، ومن ثم سافر إلى تونس في سنة (558هـ/1163م)، وولي قضاءها قرابة عشرين سنة، وقد قرأ عليه الرحالة التجاني كتاب التفريغ لابن الجلاب، ومن أول كتاب التهذيب إلى كتاب الخيار، واستمر تلاميذه على القراءة عنه حتى بعد سفره إلى تونس، على الفقيه أبي محمد عبد الوهاب ابن محمد الهنزوني[61]، وتوفي بتونس سنة (660هـ/1262م).

8 - أبو علي الحسن بن موسى بن معمر الهواري الطرابلسي (ت682هـ/1283م):

ولد بطرابلس سنة (609هـ/1212م)، ونشأ وتعلم بها، ثم سافر مع أخيه الفقيه القاضي أبي موسى إلى المهدية، ثم عاد إلى طرابلس، وقرأ عن الشيخ أبي زكريا البرقي، ولزمه مدة تفقه على يديه واختص به اختصاصاً كثيراً، وقد جمع بين رئاسة الفقه ورئاسة الأدب، وقد صفه الغبريني بقوله: " الشيخ الفقيه القاضي العدل الفصيح، الأديب الملاحظ، كان أديباً لبيباً، لسناً فقيهاً فصيحاً، مليح الحكاية بارع الخط حسن النظم والنثر، وهو من خواص أصحاب الفقيه العالم أبي زكرياء البرقي"[62]، تولى قضاء كثير من المدن في عهد الخليفة الحفصي المستنصر، مثل بجاية، و باجة[63] وغيرها، وترأس خطة العلامة الكبرى والإرفاع، ومسؤولا عن خزانة الكتب، واختلفت معاملة الخليفة له فعاقبه بإرساله إلى المهدية سنة (667هـ/1269م)، ثم تصالحا بعد عام من الخلاف، وتوجه الأمر بتحريره في ذي الحجة من سنة (668هـ/1270م)، فوصل إلى تونس في شهر ربيع الأول من سنة (669هـ/1271م)، ولما توفي الخليفة وولي ابنه الواثق أعاد للشيخ أبا علي الطرابلسي رئاسة خزانة الكتب سنة (675هـ/1276م)، توفي بتونس في اليوم التالي لجمادى الأولى من سنة (682هـ/1283م)[64].

9 - أبو محمد عبد الحميد بن أبي البركات بن عمران (ت684هـ/1285م):

عرف بابن أبي الدنيا الصدفي الطرابلسي[65]، من الأفاضل المشهورين بالعلم والمشاركة في الأدب، وكان يسبق زمانه، ولد بطرابلس في منتصف شعبان من سنة (606هـ/1209م)، وارتحل إلى المشرق لأداء فريضة الحج والتقى بالعلامة الريفي[66]، والصفراوي[67]، فأخذ عنهما العلم، واتجه بعد ذلك برحلته إلى تونس في زمن الأمير أبي زكرياء، فبقي بها فترة ثم رجع إلى بلده، وبعد ذلك طلب للمجيء إلى تونس، لتولي خطة الأعظم وغيرها من الخطط، وله تصانيف عديدة منها : العقيدة الدينية وشرحها، وجلاء الالتباس في الرد على نفاة القياس، وكتاب مذكر الفؤاد في الحض على الجهاد، كما كان له اهتمام بالشعر ولو كان قليلا، وقد

---

(59) الإجازة العلمية:- هي إقرار الاستاذ بأهلية الطالب في فن من فنون أو علم من العلوم يقع النطق بها أو تحريرها على ورقة تعطي للطالب المتخرج = مسعود عمر محمد، تأثير الشمال الإفريقي على الحياة الفكرية في السودان فيما بين القرنين الثامن والعاشر الهجريين / الرابع عشر والسادس عشر الميلادي، رسالة ماجستير غير منشورة نوقشت بجامعة السابع من ابريل – مركز البحوث والدارسات العليا، كلية الآداب والعلوم فرع يفرن، قسم التاريخ العام لسنة 2000- 2001م ص111 .

(60) التجاني ،الرحلة، ص255، 280 .

(61) التجاني، الرحلة، ص 256 .

(62) الغبريني، عنوان الدراية، ص 307 –308 .

(63) باجة : بلد بأفريقية تعرف بباجة القمح، سميت بذلك لكثرة حنطتها، وهي مدينة كثيرة الأنهار وهى على جبل يقال له عين شمس، وفيها عيون الماء العذبة = ياقوت الحموي، معجم البلدان، 314/1 .

(64) التجاني، الرحلة، ص274 –275 .كذلك . الطاهر الزاوي، اعلام ليبيا، ص302 .ابن غلبون، التذكار، ص227 .

(65) الحشائشي، الرحلة، ص46، كذلك : الزركشي، تاريخ الدولتين، ص44، ابن غلبون، التذكار، ص227 – 228، الطاهر الزاوي، اعلام ليبيا، ص195، الأنصاري، المنهل العذب، 51/2. الشيخ محمد النيفر، عنوان الأريب عما نشأ بالبلاد التونسية من عالم أديب، دار الغرب الاسلامي، ط1 (بيروت، 1996م) 261/1 – 262 .

(66) الريفي : هو جمال الدين بن أبي عبد الله بن فائد قاضي جماعة بالإسكندرية أخذ عنه ابن ابى الدنيا = محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين 2/ 309 .

(67) الصفرواي : هو عبد الرحمن بن عبد الحميد اسماعيل الصفراوي الاسكندراني جمال الدين ابو القاسم الفقيه المالكي المقري، ولد سنة 544 هـ/ 1149م اشتهر وسندت إليه رئاسة الإفتاء والإقراء ببلده مات بالإسكندرية سنة 636 هـ/ 1238 = أحمد بابا التنبكتي(متوفى : 1036 هـ/ 1626م) نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تقديم وتحقيق : عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات جمعية كلية الدعوة الاسلامية (طرابلس، 1989) ط1، ص 240 .

التقي بأبي العباس الغبريني وفي مجمل ما أشار إليه وما شد انتباهه ولكثرة اعجابه به؛ أنه ترجم له بالرغم من أنه ليس من مدينة بجاية[68] المختص بالترجمة لأعلامها، لأنه رأى أن تعيين ذكره واجب في كتابه لاستفادته وانتفاعه منه، كما ذكر رحلاته إلى المشرق والحج والشيوخ الذين أخذ عنهم، من أمثال عز الدين بن عبد السلام وغيره[69]، وأخذ العلم الكثير من خلال رحلاته وتنقلاته، ثم رجع إلى طرابلس وعمل بها بالإقراء واشتهر أمره، فشد انتباه ملك أفريقية فطلبه للسكن بها فأجابه لذلك، وحظي بتقدير جليل، وقد بين الغبريني العلوم التي تعلمها والطرق التي سلكها في تعليمه حيث أخذها على طريقة الأقدمين، وكان في الفقه على طريق القرويين، وكان لا يرى بالطريقة المتأخرة في الأصلين، ولا يعترف بعلم المنطق، فقرأ الطلبة عليه العلوم الثلاثة وهي الفقه وأصوله وأصول الدين، وله مسألة في علم الكلام، واشتغل بالإفتاء بأفريقية، ووصلت فتاواه إلى بجاية، وعرف بالعدل والفضل والكرم [70].

وقد حضر الرحالة العبدري بعضا من دروسه أثناء إقامته في طرابلس، وكان وصفه مغايرا لما سبق ، بقلة العلم وكبر السن وقلة الفهم، حيث قال فيه: " وقد حضرت بها تدريس الشيخ المسن القاضي الخطيب أبي محمد عبد الله ابن عبد السيد، وهو بيت قصيدتهم، وكبش كتيبتهم، وواسطة قلادتهم، وأنف سيادتهم، ذو سمت ووقار، وقد أثر الكبر في جسمه، كثير المواظبة للمسجد والذكر، خير في دينه، وما كنت أتيته بعد ما رأيته إلا بقصد الدعاء، لأنه ضيق الخلق، لين النظر، وفي لسانه حبسة لا يكاد يفهم معها، وقد استفرغت جهدي وقت إقرائه في تفهم ما يقول فما فهمته إلا بعد مدة،..." [71].

ويبدو أن هذا الوصف يناقض تماماً ما أشاد به ابن رشيد لذلك العالم بطابع العلم والخلق، وربما حضر العبدري بعض الدروس، ولم تكن تعجبه طريقة الشيخ في إلقائه وشرحه، وهو ما جعله ينتقده بشدة وقسوة ويتحامل عليه، وخاصة أن العبدري كما أسلفنا ذو طبع حاد سريع الغضب ضيق الخلق، ومتسرع في حكمه على الأشخاص دون بيان.

توفي الشيخ بتونس يوم الجمعة الثاني والعشرين من ربيع الأول سنة (684هـ/1285م)[72]، وذكر الزاوي أنه دفن بمدينة الزلاج[73][74] .

10 - الإمام الحافظ أبو فارس عبد العظيم بن عبد السلام بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبد العزيز بن عبيد (ت حوالي منتصف القرن الثامن/الرابع عشر الميلادي):

ولد بطرابلس سنة (639هـ/1241م)، ونشأ بها وتتلمذ على مشائخها، وينسب إلى سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، ولم تكن له رحلة في طلب العلم غير رحلة الحج سنة (703هـ/1304م)، وقد لزم الشيخ القاضي أبي موسى عمران وأخذ أكثر علمه عليه، وكان صاحب معارف وعلوم وتفقه في العلوم الأصولية والفرعية الغاية

(68) بجاية : مدينة على ساحل البحر بين أفريقية والمغرب، كان أول من اختطتها الناصر بن علناس بن حماد بن زيري بن مناد بن بلكين في حدود سنة 457 هـ/ وتسمى الناصرية = ياقوت الحموي، معجم البلدان، 339/1 .

(69) هو ابو محمد عز الدين السلمي الدمشقي الشافعي فقيه في الاصول والعربية والتفسير وله براعة في المذهب الشافعي وله تأليف في مقاصد الشريعة ومن أشهر كتبه قواصد الاحكام في مصالح الايام توفي سنة 660هـ/ 1261م = محمد ابو الاجفان ،التواصل العلمي بين بلدان المغرب العربي في عصر ابن ابي الدنيا، اعمال ندوة التواصل الثقافي بين اقطار المغرب العربي من 20- 23 ديسمبر 1995م طرابلس، ص444 .

(70) ابو العباس الغبريني، عنوان الدراية، ص109 –110 .

(71) العبدري، الرحلة، ص 77 .

(72) التجاني، الرحلة، ص272 –274 .

(73) الزلاج : هو أعظم مقابر تونس اشتهرت بدفن كثير من الفقهاء والعلماء الصالحين، وبها مقام الإمام أبى الحسن الشاذلي، معتقد أهل تونس = ابن رشيد السبتى، ابي عبد الله بن عمر الفهري، ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة، تحقيق : محمد الخوجة، دار الغرب الاسلامي (بيروت، 1988م) 404/2، الطاهر الزاوي، اعلام ليبيا، ص195 .

(74) الطاهر الزاوي، المرجع السابق، ص 195 .

والمنتهى[75]، وكان قروي المذهب، أخذ الأصول الدينية والفقهية عن الإمام أبي المعالي[76]، و الشيخ أبي حامد الغزالي[77].

وقد أشار التجاني في كتابه أنه حضر درسه وتحصل منه على إجازة علمية بخط يده خلال إقامته بطرابلس، واحتوت إجازته من شيخه على عدد من اسماء الشيوخ والفقهاء الذين تتلمذ عليهم الأخير، كما سرد رحلاتهم ونزولهم بطرابلس ولقائهم به، إذ يقول:" وكتب لي شيخنا أبو فارس بخطه إجازة سمى فيها من شيوخه الفقيه القاضي أبا موسى عمران بن موسى بن معمر، والفقيه أبا محمد عبد الحميد بن أبي البركات ابن أبي الدنيا والفقيه أبا محمد عبد الله بن عبدالكريم الغماري، اجتاز على طرابلس من الغرب قاصدًا إلى المشرق فطالت إقامته بطرابلس، ومنهم الفقيه القاضي أبو العباس أحمد بن عيسى الغماري[78]، وصل إلى طرابلس قاضيًا بعد انفصال أبي موسى بن معمر منها، ومنهم الفقيه أبو العباس الأعجمي، ورد من المشرق على مدينة طرابلس في سنة اثنين وستين قاصداً إلى المغرب، ومنهم الفقيه القاضي أبو محمد عبد الله بن إبراهيم بن أبي مسلم القابسي[79]، وصل إلى طرابلس قاضيًا، وله رحلة إلى العراق ودخل فيها بغداد ... "[80].

وعلى خلاف ذلك، كان للعبدري رأي آخر، إذ انتقد هذا الشيخ رغم ما قاله فيه التجاني من مدح وثناء، فعند عودته من رحلته ومروره على مدينة طرابلس مر على مجلسه، فوصفه بقوله: " ... ثم وصلنا إلى مدينة طرابلس وكان ذُكِر لي بها شخص يدرس الفقه يعرف بابن عبيد، فحضرت مجلسه، فرأيته قليل التوقير لمجلس العلم، فخرجت ولم أكلمه ..."[81].

الخاتمة :-

بعد استعراض هذا البحث يمكن أن نذكر النتائج والخلاصات التالية:

- كشف البحث أن مدينة طرابلس بها علماء قد ساهموا في ازدهار الحركة العلمية والفكرية والثقافية، وأنهم على مختلف التخصصات وصنوف العلم من فقه وأصول وحديث وأدب ولغة وحساب وأزمنة وغيرها.
- تعد مشاركة علماء طرابلس مع علماء المدن والعواصم الإسلامية خاصة أفريقية وتوليهم العديد من المناصب الدينية وترأسهم مجلس الدرس؛ دليل على غزارة علمهم ومكانتهم الرفيعة، انعكس كل ذلك على انتعاش الحركة العلمية الفكرية داخل هذه المدن.
- ساهم الموقع الجغرافي للإقليم بدور إيجابي في ازدهار الحياة العلمية فشكلت مدينة طرابلس حلقة وصل وجسر عبور بين المدن والمراكز والأمصار الإسلامية في المشرق والمغرب الإسلاميين.
- كما أنها محطة إقامة لكثير من الشيوخ والفقهاء وطلبة العلم، فضلا عن الحجاج والتجار، كل ذلك أكسبها أهمية كبيرة وقيمة جوهرية في التاريخ المغاربي وتكوين الحضارة الإسلامية.
- أثبتت الدلائل أن طرابلس الغرب كانت مستقرة ومزدهرة في مختلف جوانب الحياة وخاصة العلمية والثقافية، فوجد بها عدد بارز من العلماء والفقهاء والمثقفين وطلاب العلم، المشهود لهم بالكفاءة والدراية ممن التقى معهم مه أهل العلم والرحالة الوافدين على طرابلس، وسجلوا ذلك في مؤلفاتهم.

---

(75) التجاني، الرحلة، ص254 .

(76) أبى المعالي، وهو امام الحرميين الشريفين وصاحب كتاب الارشاد = التجانى، الرحلة، ص 256 .

(77) ابو حامد الغزالي: هو محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبو حامد، حجة الإسلام، فيلسوف متصوف، له نحو مئتي مصنف، مولده ووفاته في الطايران بخراسان رحل إلى نيسابور ثم عاد إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر، وعاد إلى بلدته نسبته إلى صناعة الغزل أو إلى الغزالة من قري طوس، له مؤلفات كثيرة منها إحياء علوم الدين، تهافت الفلاسفة، الاقتصاد في الاعتقاد وغيرها كثير = خير الدين الزركلى، الأعلام، 247/7 .

(78) الفقيه القاضي ابو العباس احمد بن عيسى الغماري تولى القضاء بطرابلس بعد انفصال القاضي أبى موسي معمر، كان هذا القاضي التونسي الجليل غزير العلم والأدب، وقد درس عليه تلميذه أبو فارس كتاب المعالم الذي ألفه ابن الخطيب = احمد مسعود، التواصل العلمي، ص218 .

(79) أبى مسلم القابسي :- رحل إلى العراق ودخل إلى طرابلس وتولى بها القضاء قرأ عليه ابو فارس كتاب المعالم وفن الحديث بسنده وفنونه وسننه ونصف صحيح البخاري وامتد نشاط هذا القاضي الفقيه إلى مدارس العلوم والفنون بطرابلس فهرع إليه شيوخها وشبابها ليقتبسو منه = المرجع السابق، ص218 .

(80) التجاني، المصدر السابق، ص255 –257 .

(81) العبدري، الرحلة، ص 236 .

- اتجه أغلب علماء وفقهاء طرابلس إلى شد الرحال في طلب العلم لملاقاة الشيوخ، فدرسوا وأخذوا العلم والفقه، كما أنهم رووا الحديث عن علماء قيروان بتونس والأزهر في مصر.
- يعد مرور الوافدين بالمدن الليبية أثناء ارتحالهم في طلب العلم فرصة انتهزها طلاب العلم الليبيين الذين لم يستطيعوا الارتحال خارج بلدهم؛ للاحتكاك بهم والاطلاع على ثقافاتهم ومجالستهم والأخذ عنهم.
- أن كتب الجغرافيين والرحالة والمؤرخين، سجلت قائمة بعلماء وفقهاء طرابلس، وبينت علومهم وفهومهم ومصنفاتهم، وهذا يعد رصيدا علميا وثقافيا وفكريا لهذه البلاد، كما أن مصنفاتهم تتصف بالغزارة والتنوع.

المصادر والمراجع :-

أولاً المصادر:

1- **ابن الأثير،** محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد (ت: 630هـ/1232م)، الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، ط3 (بيروت، 1980م).

2- **الإدريسي،** أبو عبد الله محمد بن محمد عبد الله الشريف (ت: 560هـ/1166م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، ط1 (بيروت، 1989م).

3- **الأنصاري،** أحمد النائب ،المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، منشورات مكتبة الفرجاني، طرابلس، (د.ت).

4- **البغدادي،** صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت: 739هـ/ 1338م)، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، ط1 (1954م).

5- **البكري،** ابو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز (ت: 487هـ/1094م)، المسالك والممالك، تحقيق: أدريان فان ليوفن، أندري فيري، الدار العربية للكتاب (تونس، 1992م) جزئين.

6- **البلاذري،** الإمام أبى الحسن أحمد بن يحيى بن جابر (ت: 279هـ/ 892م)، فتوح البلدان، تصحيح: عبد القادر محمد علي، منشورات دار الكتب العلمية (بيروت، 2000م).

7- **التّجاني،** أبو محمد عبد الله محمد بن أحمد (ت: حوالي 717هـ/1317م).

رحلة التّجاني، تقديم: حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب (ليبيا، تونس، 1981م).

8- **ابن حوقل،** أبى القاسم محمد بن علي الموصلي النصيبي (ت: 358هـ/ 968م)، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة (بيروت، 1992م).

9- **الحشائشي،** محمد بن عثمان التونسي (ت: 1313هـ/1895م).رحلة الحشائشي المسماة "جلاء الكرب عن طرابلس الغرب" تحقيق: على مصطفى المصراتي، دار لبنان، ط1 (بيروت، 1965م) .

10- **الحميري،** محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت: خلال القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، دار العلم للطباعة (بيروت، 1975م).

11- **ابن عبد الحكم،** عبد الرحمن بن عبد الله بن أعين (ت: 257هـ/870م)، فتوح إفريقية والأندلس، تحقيق: عبد الله أنيس الطّباع، دار الكتاب اللبناني (بيروت، 1964م).

12- **ابن حجر العسقلاني،** شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد (ت: 852هـ/1418م).

الإصابة في تمييز الصحابة، مطبعة السعادة، ط1 (القاهرة) .

13- **ابن خرداذبة،** أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت: حوالي 300هـ/ 912م)، المسالك والممالك، مكتبة المثنى (بغداد).

14- **ابن رسته،** أبى علي أحمد بن عمر (ت: كان حيًا مطلع القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي)، الأعلاق النفيسة، مطبعة بريل (ليدن، 1891م) م7.

15- **ابن رشيد السبتي،** أبو عبد الله بن عمر الفهري (ت: 721هـ/1321م)رحلة ابن رشيد السبتي المسماة "ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى مكة وطيبة" مخطوط الاسكوريال، تحت رقم "1736".

16- **ابن أبى دينار،** أبو عبد الله محمد بن أبى القاسم القيرواني (ت: 1092هـ/ 1681م).

المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط1 (تونس).

17- **ابن سعيد المغربي،** ابى الحسن على بن موسى (ت: 673هـ/1274م)، كتاب الجغرافيا، تحقيق: إسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، ط1 (بيروت، 1970م).

18- **أبو الفدا،** عماد الدين إسماعيل بن محمد (ت: 732هـ/1330م)، تقويم البلدان، تحقيق: رينو، ودي سلان: وألبان ماك كوكين ديسلان (باريس، 1840م).

19- **ابن عذاري،** أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي (ت: أواخر القرن السابع الهجري/ أواخر الثالث عشر الميلادي)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج.س. كولان، وليفي بروفنسال، دار الثقافة، ط3 (بيروت، 1980م).

20- **العبدري،** أبو عبد الله محمد بن محمد الحاحي (ت: خلال 700-720هـ/ 1300- 1320م)، رحلة العبدري، تحقيق: أحمد بن جدّو، منشورات كلية الآداب (الجزائر) سلسلة رقم (1).

21- **العياشي،** أبو سالم عبد الله محمد بن أبي بكر (متوفي: 1090هـ/1702) الرحلة العياشية (فاس، 1316هـ).

22- **القزويني،** زكريا محمد بن محمود (ت: 682هـ/ 1283م)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر (بيروت، 1969م).

23- **ليون الأفريقي،** الحسن بن محمد الوزان الفاسي (متوفى: 956هـ/ 1548م) وصف أفريقيا، ترجمة: عبد الرحمن حميدة، راجعة: علي عبد الواحد.

24- **مجهول،** (ت: خلال القرن السادس الهجري/ الحادي عشر الميلادي)، الاستبصار في عجائب الأمصار، تعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشئون الثقافية العامة، آفاق عربية (بغداد، 1986م).

25- **المُرَاكشي،** عبد الواحد بن علي التميمي (ت: 647هـ/ 1254م)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: خليل عمران المنصور، منشورات دار الكتب المصرية، ط1 (بيروت،1998م).

26- **المقدسي،** أبو عبد الله محمد بن أحمد البشاري (ت: 380هـ/990م). أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ط2 (ليدن، 1909م).

27- **ابن ناصر الدرعي،** أبو العباس أحمد بن محمد (ت: 1128هـ/1716م). الرحلة الناصرية، مخطوط بالمكتبة الوطنية التونسية تحت رقم "10030"، مخطوط بدار الكتب المصرية بالقاهرة تحت "818" جغرافيا.

28- **ياقوت الحموي،** شهاب الدين أبو عبد الله الرومي (ت: 626هـ/1228م)، معجم البلدان، دار بيروت، دار صادر (بيروت، 1979م).

29- **النويري،** شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت: 733هـ/1332م).نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: حسين نصار، مراجعة: عبد العزيز الأهواني، مركز تحقيق التراث (القاهرة، 1983م). الجزء الرابع والعشرون.

30- **اليعقوبي**، احمد بن يعقوب اسحاق بن جعفر (ت: 284هـ/897م)، فتوح البلدان، تحقيق: محمد أمين قناوي، منشورات محمد علي بيضون لنشر الكتب السنة والجماعة، دار الكتب الوطنية (بيروت، 2002م).

ثانيًا المراجع:

31- **أحمد مختار العبادي.** في التاريخ العباسي والأندلسي، دار النهضة العربية (بيروت، 1972م).

32- **أموريسلومبار.** الإسلام في مجده الأول، ترجمة وتعليق: إسماعيل العربي منشورات دار الآفاق الجديدة، ط3 (المغرب، 1990م).

33- **خير الدين الزركلي.** الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب المستعربين والمستشرقين، ط3.

34- **سالم سالم شلابي.** عناوين على نواصي المحروسة طرابلس القديمة، منشورات مكتبة الفرجاني، ط1 (طرابلس، 1994م).

35- الطاهر الزاوي، معجم البلدان الليبية، مكتبة النور، ط1 (طرابلس، 1968م).

36- الطاهر الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، دار المعارف، ط2 (مصر،1962م).

37- **علي فهمي خشيم.** الحاجية من ثلاث رحلات في البلاد الليبية، دار مكتبة الفكر، ط1 (طرابلس، 1974م).

38- **علي الميلودي عمورة.** طرابلس المدينة العربية ومعمارها الإسلامي، دار الفرجاني للنشر والتوزيع (طرابلس، 1993م).

39- **فاتن محمد محمد البنا.** محافظة طرابلس- دراسة في جغرافية العمران- رسالة ماجستير نوقشت بتاريخ 1977م، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة.

40- **مجموعة من الباحثين.** معالم الحضارة الإسلامية في ليبيا، منشورات اللجنة الوطنية الليبية للتربية والثقافة والعلوم (طرابلس، 2007م).

41- **محمد حسين المرتضى.** طلائع الفتح الإسلامي في ليبيا وجهاد زهير البلوي ورويفع الأنصاري (البيضاء).

42- **محمد علي عيسى.** الآثار الباقية عن القرون الخالية كما وصفها الرحالة العبدري، مجلة تراث الشعب، تصدر عن مكتب التراث والفنون باللجنة الشعبية العامة كالأعلام والثقافة (طرابلس، 1990م) مسلسل رقم (25) العدد (4) المجلد رقم (1).

43- **محمد عبد الستار عثمان.** المدينة الإسلامية، سلسلة عالم المعرفة (الكويت، أغسطس، 1988م)، العدد 128.

44- **محمد عبد الهادي شعيرة.** الرباطات الساحلية الليبية الإسلامية "المؤتمر التاريخي المنعقد خلال الفترة من 16-23 مارس 1968م" منشورات الجامعة الليبية، كلية الآداب، إشراف: فوزي جاد الله، ضمن سلسلة ليبيا في التاريخ.

45- **محمد يوسف نجم وإحسان عباس.** ليبيا في كتب الجغرافيا والرحلات، الناشر دار ليبيا للنشر والتوزيع (بنغازي).

46- **مفتاح محمد عبد الجليل.** وصف طرابلس الغرب في الرحلة التجانية، مجلة الدعوة الإسلامية، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية (طرابلس، 2000م).

47- **نجم الدين غالب الكيب.** مدينة طرابلس عبر التاريخ، الدار العربية للكتاب (ليبيا، تونس، 1978م)ط2.